الفصل الثامن

الدونمة التركية أو اليهود المسلمون
الطائفة التي تسيطر علي الحياة السياسية والإقتصادية في تركيا

الفصل الثامن

الدونمة *Daunema* التركية أو اليهود المسلمون
الطائفة التي تسيطر علي الحياة
السياسية والاقتصادية في تركيا

لأهمية هذه الطائفة وخطورة الدور الذى تلعبه فى تركيا الإسلامية، قررت إفراد باب خاص عن هذه الطائفة، وساعدنى فى ذلك معرفتى باللغة وإتصالاتى وسهولة تحصلى على المراجع التى ساعدتنى فى كتابة هذا الفصل. ونبدأ هذا الفصل بالواقعة التالية:-

قام وزير الدفاع الإسرائيلى إسحاق موردخاى فى عهد حكومة ناتانياهو بزيارة تركيا على رأس وفد عسكرى إسرائيلى وذلك فى مطلع عام ١٩٩٩، وتوجهوا إلى مقر هيئة الأركان التركية وإجتمعوا مع كبار جنرالات الجيش التركى، وكان على رأس هيئة الأركان وقتها الجنرال إسماعيل حقى قرضاى، ودهش الكثيرون منا فى العالم العربى من حرارة الترحيب التى قوبل به أعضاء الوفد الإسرائيلى من هيئة الأركان التركية، مما دفع وزير الدفاع الإسرائيلى إلى القول بأنه يشعر ببهجة شديدة لأنه موجود بين أهله وإخوانه، ومنذ أيام قلائل (فى منتصف مايو سنة ٢٠٠١) قام وزير الخارجية الإسرائيلى شمعون بيريز بزيارة لتركيا مع وفد من العسكريين الإسرائيليين، وحضروا إحتفالا كبيرا فى وزارة الخارجية التركية رأسه إسماعيل جم وزير الخارجية التركية وكانت المناسبة تكريم مساعد وزير الخارجية التركية وعدد من رفاقه وذلك بسبب مجهوداتهم العظيمة التى لا تنسى وخدماتهم لإسرائيل، لمساعدتهم فى تهجير يهود رومانيا والمجر إلى إسرائيل بعد الحرب العالمية الثانية، وقلد شمعون بيريز هؤلاء المكرمين أرفع الأوسمة الإسرائيلية. وفى شهر يونيه سنة ٢٠٠١ قام الجيش الإسرائيلى بعمل مناورات جوية وبرية فى منطقة قونية فى الأناضول بالاشتراك مع الجيش التركى مما دفع أهالى هذه المنطقة من الأناضول بالاحتجاج والتذمر لأن هذه

المناورات أضرت بالمواشى والمحاصيل فى منطقتهم، وفى يوم ٢٢ يونيه سنة ٢٠٠١ أصدرت المحكمة الدستورية العليا فى تركيا حكما بإلغاء حزب الفضيلة التركية الذى يملك ١٢٢ نائبا فى البرلمان التركى ومن أكبر الأحزاب التركية بحجة أن هذا الحزب له إتجاهات إسلامية تتنافى مع المبادىء العلمانية التى أرسى قواعدها كمال أتاتورك مؤسس تركيا الحديثة، وتم حل هذا الحزب رغم الأزمة المالية الخانقة التى تعانى منها البلاد الأن، وما يتوقع من تأثيرات ذلك الحل المدمرة على الإقتصاد التركى والحياة الاجتماعية فى البلاد، ويلاحظ أن حل هذا الحزب جاء بأمر من هيئة الأركان العسكرية التى تحكم البلاد وتتحكم فى شئونها رغم وجود ديموقراطية صورية وأحزاب سياسية لا حول لها ولا قوة.

ونرجع إلى بداية هذا الفصل ونتساءل ما سر إبتهاج الوفد الإسرائيلى العسكرى الذى زار هيئة الأركان التركية وتصريح موردخاى بأنه يوجد بين أهله وإخوانه؟ وما سر الترحيب الشديد بالإسرائيليين من قبل العسكريين الأتراك الذى يقابل به الإسرائيليون فى كل زيارة لهم لتركيا، والنياشين الإسرائيلية التى تمطرهم بها إسرائيل بين حين وآخر؟ وللإجابة على ذلك نقول:-

يوجد فى تركيا مجلسا يسمى مجلس الأمن التركى ويتكون هذا المجلس من رئيس الأركان العام وكبار جنرالات الجيش وقليل من السياسيين مثل رئيس الجمهورية ورئيس الوزراء، ويعتبر هذا المجلس هو الأمين العام المنوط بها مراقبة الإتجاهات السياسية الداخلية والخارجية حتى لا تخرج عن الخط العلمانى الذى خطه للبلاد مصطفى كمال أتاتورك مؤسسة الجمهورية التركية منذ أكثر من ٧٥ سنة، وكان مصطفى كمال ينتمى لطائفة الدونمة التركية التى نحن بصدد الكتابة عنها، وكان مولده فى مدينة سالونيكا التى كانت مركزا لتجمع اليهود والدونمة فى عهد الدولة العثمانية، وتم ضم سالونيكا بعد ذلك إلى اليونان.

وأى حكومة أو أى حزب سياسى يحاول الخروج عن الخط العلمانى يقابل بالردع الفورى من هيئة الأركان العامة بما يؤدى إلى إسقاط الحكومة أو حل الحزب المارق وتقديم زعمائه إلى المحكمة الدستورية العليا التى غالبا ما تحكم عليهم بأحكام غاية فى القسوة مثل السجن مع الأشغال الشاقة المؤبدة مثل ما حدث مع الدكتور نجم الدين أربكان زعيم حزب السلامة

ومع باقى زعماء الحزب، وقد يصل الأمر إلى إعدام بعض الزعماء مثل ما حدث من إعدام رئيس الحكومة الأسبق عدنان مندريس الذى يطلق عليه الأتراك الآن الشهيد مندريس لأنه يعتبر أول من رفع صوته ضد تحكم العسكر، المهم ألا تتجاوز مبادىء أى حزب سياسى المبادىء التى وضع إطارها كمال أتاتورك والتى يجب أن تدور فى فلكها جميع نظم الحكم التركية والتى تهدف فى النهاية إلى قطع أى علاقة بين ماضى تركيا وتاريخها الإسلامى مع ربطها دائما بالغرب وعزلها عن العالمين العربى والإسلامى، ومحو الأصول التراثية والثقافية للشعب التركى ومحاربة جميع المظاهر الإسلامية داخل المجتمع التركى بكل حزم حتى ولو كانت بسيطة، ومنذ عدة أشهر حكمت المحكمة العليا بعزل نائبة البرلمان مروى قاوقجى لأنها تجرأت وارتدت حجاب الرأس داخل البرلمان التركى، ثم أمرت المحكمة بتجريدها من الجنسية التركية فى أقسى حكم شهدته تركيا من هذا النوع، وأيضا حكمت نفس المحكمة بفصل ٣٥٠ مدرسة تركية من عملهن لأنهن أصررن على لبس حجاب الرأس أثناء العمل. وفى حادثة أخرى أصدرت إدارة الجامعات التركية قرارا بفصل الطالبات الائى يدخلن كليات الجامعة مرتدين لحجاب الرأس، وكان عدد هؤلاء كبيرا جدا، وقاموا بمظاهرة حاشدة أمام جامعة اسطنبول وهم يمسكون بالمصاحف فى أيديهن، وقامت الشرطة بضربهن بقسوة شديدة والقبض على الكثيرات منهن، وفى حادث آخر أصدر بولنت أجاويد رئيس الحكومة التركية قرار بفصل ٢٠ ألف موظف تركى من وظائفهم لأنهم يقومون بالصلاة فى أثناء العمل ويصومون رمضان ولهم إتجاهات دينية، ولكن رئيس الجمهورية أحمد نجدت رفض إمضاء هذا القرار والتصديق عليه مما أثار أزمة شديدة بينهما إنتهت بانتصار رئيس الجمهورية.

وحتى وقت قريب كان تعلم اللغة العربية أو النطق بها أو الكتابة بالخط العربى جريمة بشعة يعاقب عليها القانون، ومن مظاهر تطبيق القوانين الكمالية السماح للمرأة التركية المسلمة بالتزوج بزوج غير مسلم وتشجيع النساء على ذلك، مع أن عدد المسلمين فى تركيا يصل إلى ١٠٠ ٪ وهى أكبر نسبة من المسلمين فى أى قطر إسلامى، وفى شهر مايو سنة ٢٠٠١، أعلنت فتاة تركية مسلمة تعيش فى ألمانيا هى وأسرتها أنها سوف تتزوج ابن هلمت كول الرئيس الألمانى السابق وأنها سوف تسافر إلى اسطنبول مع خطيبها ليعقدوا القران هناك

على يد مأذون على الطريقة الإسلامية وبعد ذلك يعودون إلى ألمانيا ليعقدوا القران ثانيا على يد قس فى أحد الكنائس الألمانية، ورحبت الصحف التركية بهذه الفكرة وامتدحتها ولكن الأوساط الشعبية كانت فى إستياء بالغ من ذلك.

ومن المعروف أن الجيش التركى قد قام بأربعة إنقلابات ضد الحكومات التى إنحرفت ولو قليلا عن الخط العلمانى الكمالى فى أثناء الخمسين سنة الماضية وتولت حكومات عسكرية حكم البلاد حكما مطلقا لفترات طويلة.

وبالبحث والتحليل لهذه الظاهرة، تبين للدارسين أن هيئة الأركان التركية وكبار جنرالات الجيش لا يتم إختيارهم إلا من بين أبناء طائفة الدونمة التركية منذ عهد كمال أتاتورك حتى يومنا هذا، وهذه الطائفة هى التى تحكم سيطرتها على الجيش وتضع السياسة العامة له وللدولة التركية وتمنع أى تسلل من قبل ضباط القاعدة إلى طبقة الجنرالات العظام، كذلك لابد أن يكون المدعى العام التركى وقضاة المحكمة الدستورية العليا من المنتمين لهذه الطائفة وإذا نظرنا إلى المجتمع التركى ككل، لوجدنا أن طائفة الدونمة تسيطر سيطرة تامة على جميع وسائل الإعلام التركية من صحف ومجلات ومحطات تلفزيونية، ويمتلك أفراد من هذه الطائفة جميع هذه الوسائل الإعلامية.

ويسيطر أفراد الطائفة على المصارف ودور المال والمؤسسات الاقتصادية الأخرى وكذلك المؤسسات الصناعية والشركات.

وبعد أن إستطردنا فى الكتابة عن هذه الطائفة، لعل القارىء يسأل من ماهية هذه الطائفة والأهمية الكبيرة التى اكتسبها؟ وللإجابة على ذلك لابد لنا من الرجوع إلى عمق التاريخ.

ولعلنا نعرف أن اليهود لم يعترفوا أبدا بعيسى المسيح عليه السلام، وظلوا حتى اليوم ينتظرون قدوم المسيح اليهودى الذى يعيد إليهم مجدهم ودولتهم ويفرض سيطرتهم على العالم أجمع، وكلمة مسيح باللغة العبرية تعنى النبى المخلص الذى يرسله «يهوه» أى الله لإنقاذ بنى إسرائيل، وقد تسبب هذا الإعتقاد فى ظهور كثيرين إدعى كل منهم بأنه هو

المسيح المنتظر، منهم تيوداس الرومانى عام ٤٤ ميلادية، وموسى التكريتى وأبو عيسى الأصفهانى ثم ساباتاى الأزميرى نسبة إلى مدينة أزمير التركية.

وظهر ساباتاى فى عهد الدولة العثمانية وفى سنة ١٦٤٨ ميلادية، وكانت آنذاك تعانى من إضطرابات شديدة، فقد ثار الجند على السلطان إبراهيم وقتلوه ثم عاثوا فى الأرض فسادا، وإنتهزت دولة البندقية هذه الفرصة وأرسلت أساطيلها تهدد الشواطىء العثمانية.

وفى نفس الوقت عجز الجيش العثمانى للمرة الثانية عن فتح قلعة فينا عاصمة النمسا، أما أوروبا فكانت تعيش عصر محاكم التفتيش وكبت الحريات واضطهاد المسلمين واليهود خاصة فى أسبانيا، ولم يجد الكثيرون من اليهود حاميا لهم إلا الدولة العثمانية ومملكة المغرب لما عرف عنهما من تسامح دينى فرضه الإسلام على مجتمعاته، لذلك إتجه اليهود المضطهدين إلى تركيا والمغرب، ليعيشوا فى ظل السماحة والأمان.

وفى هذا الوقت ولد فى أزمير يهودى يدعى ساباتاى فى سنة ١٦٢٦ . م لأب يدعى موردخاى زفى، كان يعمل تاجرا، وهو من أصل أسبانى، وفى تلك الأثناء ادعى بعض اليهود أيضا أن حساب الجمل لبعض الكلمات الواردة فى التوراة تقول بأن المسيح سوف يظهر فى عام ١٩٤٨ م. لكى يقود اليهود، وأنه سوف يظهر فى صورة نبى مخلص يحكم العالم من فلسطين ويجعل من القدس مركزا وعاصمة للدولة اليهودية.

وكان ساباتاى فى هذه الأثناء قد بلغ الثانية والعشرين من عمره، فأخذ يعد نفسه ليصبح هو ذلك المسيح المنتظر، وكان هذا الشاب مصابا بحالة صرع ومعتل الصحة والمزاج ينفر منه حاخامات أزمير، وفى العام المحدد (١٦٤٨م) أعلن ساباتاى أنه هو المسيح المنتظر، وفى سنة ١٦٦٣م. سافر ساباتاى إلى مصر، وإستضافه فيها يهودى يدعى رافاييل جوزيف، ويطلق عليه المصريون يوسف جلبى وكان رئيس الصيارفة بالقاهرة، وآمن رافاييل بساباتاى وقدم دعما ماليا كبيرا لحركته، ثم سافر ساباتاى الى فلسطين وتعرف على يهود القدس، ثم عاد إلى أزمير سنة ١٦٦٦ حيث كانت شهرته قد طبقت الآفاق.

وفى أزمير إنهالت عليه وفود اليهود من رودس وأدرنة وصوفيا واليونان وألمانيا، وقلدته الوفود تاج ملك الملوك، وتصور أنه سوف يحكم العالم من فلسطين، وكان يوقع على خطاباته بلقب «الابن الوحيد الأول ليهوة» .

وبعد قليل إدعى يهودى آخر يسمى كوهين أنه هو المسيح المنتظر، وقدم كوهين هذا إلى القصر السلطانى شكوى ذكر فيها أن ساباتاى يعد العدة للقيام بتمرد يهدف إلى إقامة دولة لليهود فى فلسطين، فأصدر القصر السلطانى أمرا بالقبض على ساباتاى، وأحضر إلى القصر حيث واجه هناك هيئة من العلماء برئاسة نائب الصدر الأعظم وعضوية شيخ الإسلام، وبعد مناقشات اللجنة له أعلن ساباتاى إسلامه والعدول عن إدعاءاته وسمى نفسه محمدا، وخصص له السلطان ربع راتب رئيس البوابين فى القصر، وأصبح يدعى محمد البواب، وبعد هذا ارسل ساباتاى رسالة إلى أتباعه ذكر لهم فيها أن «يهوة جعلنى مسلما، أنا أخوكم محمد البواب، هكذا أمرنى يهوة فأطعت» . ثم قدم أخوه للأتباع التوضيح التالى:-

«كيان ساباتاى القديم صعد إلى السماء، وبأمر من يهوة فإنه يستمر ملكا ومسيحا لليهود ولكن تحت جبة وعمامة»

وعلى هذا أطلق الأتراك لفظ «دونمة» على أتباع ساباتاى، والدونمة كلمة تركية تعنى العائد أى الذى إرتد إلى اليهودية بعد أن كان مسلما، ثم أصبحت هذه الكلمة فيما بعد تعنى المسلم ظاهرا واليهودى باطنا.

بعد ذلك طلب ساباتاى من السلطات التركية السماح له بالتجول فى البلاد العثمانية لدعوة اليهود إلى الإسلام، فسمحت له الدولة بذلك، ولكنه بدلا من ذلك إنطلق إلى اليهود يدعوهم إلى الإيمان به ويحثهم على ضرورة تجمعهم معلنين الإسلام فى الظاهر مبطنين الساباتية.

ثم أصدر وثيقة تضمنت أسس دعوته وجهها إلى كل المؤمنين به، وتصدرت الوثيقة هذه الجملة «هذه هى الأوامر الثمانية عشر التى أمر بها سيدنا وملكنا ساباتاى زفى فليزدد شرفه»، وتضم هذه الوثيقة أمرا بالإيمان بأن مسيح يهوة هو المخلص الحق ولا مخلص غيره وهو سيدنا وملكنا ساباتاى زفى، وأنه من نسل داوود عليه السلام ويجب على الأتباع قراءة

شـــكل ٥ :
صـورة لسـاباتاى زفى بعـد أن لبس الجـبـة والعمامة رسمها له أحد أتباعه عام ١٦٦٢م

شـــكل ٦ :
صـورة لساباتاى زفـى جـالسا على العرش وهو يتـوج من قـبل الملائكة والصورة السفلية لقبائل اسـرائيل الاثنى عـشـر تـدرس التـــوراه مـع سبناى.
(الصورة عام ١٦٦١م)

مزامير داوود كل يوم سرا، ويجب مراعاة الأتراك المسلمين ذرا للرماد فى أعينهم، ويجب عدم الضيق بصوم رمضان أو عند تقديم أضحية العيد، بل يجب المحافظة على جميع المظاهر الدينية الإسلامية، وممنوع الزواج من المسلمين، كذلك نصت الوثيقة على أن اليوم الذى أسلم فيه ساباتاى هو يوم عيد يحتفل به إحتفالا كبيرا.

وبعد تأكد السلطات التركية من زيف إسلام ساباتاى، نفته إلى ألبانيا حيث مات ودفن هناك فى ١٦٧٥/٩/٣٠م.

وبعد تكون طائفة الدونمة، عاش أفراد هذه الطائفة بين المسلمين، ولكنهم يختلفون عنهم، فهم يتسمون بالاسماء الإسلامية، ثم يضيفون إلى هذه الأسماء لقبا يهوديا، مثل «محمد جاهد يلتشين» نقيب الصحفيين الأتراك الأسبق، ويؤدى أفراد هذه الطائفة الشعائر الإسلامية ظاهريا مثل الصلاة فى المساجد أو صوم رمضان وأحيانا الحج، وكان وكان لهم عادات خاصة مثل لبس الأحذية بدون كعوب، وحلق شعورهم بالموس، وتتكون طائفة الدونمة من ثلاث فرق هى:-

اليعاقبة والقراقاشية والقابانجية، ولهم مدارسهم ومدافنهم الخاصة. وتركزت جهود الدونمة منذ الحرب العالمية الأولى الى دفع عجلة التغريب فى المجتمع التركى وقطع كل صلة للأتراك بماضيهم ودينهم وتراثهم الفكرى وكتابة اللغة التركية بالأحرف اللاتينية بدلا من الأحرف العربية حتى تضمن إستمرار قطع صلة الأجيال التركية بماضيهم وتاريخهم الإسلامى المشرف المدون بالأحرف العربية. واستغلوا السلطة المطلقة التى تمتع بها كمال أتاتورك وهو كما سبق أن ذكرنا من الدونمة- فى فرض المظهر الأوروبى فى الملبس والهيئة على الشعب وتشجيع الإختلاط بين الرجال والنساء وإلغاء قوانين الأحوال الشخصية المستمدة من الشريعة الإسلامية وتشجيع الفتيات المسلمات على التزوج بغير المسلمين، وإقامة مسابقات الجمال بين النساء والتى تتبناها الدونمة حتى الآن، وفتح دور الدعارة المرخص بها من الدولة فى كل المدن والتجمعات التركية، وتشجيع أهالى الريف وأهالى المدن على شرب الخمور وصناعتها، حتى أصبحت تركيا الآن من أكبر الدول المنتجة للنبيذ فى شرق أوروبا، ولا يفوتنى أن أذكر هنا أن صحيفتى ميلييت وكون إيدن المملوكتين للدونمة هما الصحيفتان اللتان تتوليان تنظيم مسابقات الجمال بين الفتيات حتى الآن.

ولعل سائل يتساءل: ما هو الدور الذى يلعبه يهود الدونمة فى الحياة السياسية التركية؟

وللإجابة على ذلك نجد أنه منذ إعلان ساباتاى الإسلام ويهود الدونمة يحتلون مراكز هامة فى الدولة، مثل أمين الترسانة البحرية وأمين الصرة وكتخدا القصر وكتخدا المدينة وذلك فى العهد العثمانى، وعند ظهور حزب الاتحاد والترقى فى أواخر أيام الدولة العثمانية، إندس فرع القابانجية من الدونمة فى خلايا الحزب وأداروا الجزء الأكبر من الانقلاب الذى قام به حزب تركيا الفتاة ضد السلطان عبدالحميد الثانى وخلعه، وبذلك أفسح المجال لقيام الحكم العلمانى، وفى بداية القرن العشرين ظهر أبرز ساسة الدونمة وهو قراصو عضو اللجنة التى قابلت السلطان عبدالحميد لخلعه، وكان هو مسئول جمعية الإتحاد والترقى عند إثارة الشغب ضد عبدالحميد لتهيئة الفرصة لحل جمعية الشورى، وقداصو هذا هو الذى باع ليبيا إلى إيطاليا وخان الدول العثمانية فى نظير رشوة من الإيطاليين.

وتوجد أسماء أخرى كثيرة من يهود الدونمة برزت فى شتى فروع الحياة التركية، منها محمد جاويد وزير المالية فى عهد الإتحاد والترقى ونزهت فائق وهو أحد وزراء مالية العهد ذاته ومصطفى عارف أحد وزراء داخلية الإتحاد والترقى ومصلح الدين عادل وكان مستشارا لوزارة التعليم التركية وأستاذ فى كلية الحقوق.

وأما فى مجال الإعلام فيمسك الدونمة بجميع فروع الإعلام رغم قلة عددهم كطائفة (عددهم الآن فى تركيا ٣٠٠٠٠ نسمة)، وأبرز عائلات الدونمة من العاملين فى الإعلام الآن فى تركيا هم من عائلات قابانجى وكبار وإيبكجى، والأخيرة لها مكانتها الضخمة فى الحياة الإعلامية فى تركيا، وتأثير الدونمة على هيئات الإذاعة والتلفزيون التركية ضخم للغاية، وكذلك فإن أكبر دور النشر وأعظم الصحف التركية يمتلكها ويديرها الدونمة، وكان أول صحفى من يهود الدونمة يخرج من المحلية إلى العالمية هو أحمد أمين بالمان (سلونيك ١٨٨٨- إستانبول ١٩٧٣) الذى أسس عدة صحف ومجلدات هامة، وإشترك فى بعض المؤتمرات الصهيونية فى الولايات المتحدة الأمريكية، وتبنى أثناء الحرب العالمية الأولى قيام دولة أرمنية ودولة كردية يقتطعان من الأراضى التركية، كما نادى بعد الحرب العالمية الأولى بضرورة قبول تركيا للحماية الأمريكية، وناصر أيضا قضايا الماسون الأتراك ودافع

عن قضايا الشيوعيين الأتراك وعن أمن إسرائيل، ونشط فى الدعاية للصهيونية، وكان معاديا بشدة للإسلام والمسلمين حتى أن الشاعر التركى يزن توفيق هجاة بقصيدة مطلعها «أحمد أمين دونمه خبيث: يقذف بالطين أهل الشرف». وكان آخر اسم كبير فى الصحافة التركية هو عبدى إيبكجى أشهر صحفى تركيا وهو من عائلة إيبكجى الكبيرة، وتولى عبدى إدارة صحيفة ملبيت الصباحية اليومية منذ عام ١٩٦٤، كما ترأس نقابة الصحفيين الأتراك، وكان عضوا فى اللجنة التحضيرية لقانون أخلاق الصحافة ثم الأمين العام لديوان الشرف الصحفى، ولعبدى إيبكجى شهرة عالمية، إذ أنه كان عضوا بمجلس إدارة الصحافة بزيورخ (I. B. I) المعروف بسيطرة اليهود عليه، وفى سنة ١٩٦٨ عين عبدى عضوا فى هيئة التدريس بمعهد الصحافة بجامعة إستانبول، وإغتيل عبدى يوم ٢/٢/ ١٩٧٩ واهتزت تركيا لمقتله، وقبض على القائل بعد ٥ أشهر من عملية الإغتيال، ويمتلك يهود الدونمة مؤسسة جريدة «حريت»، ويوزع منها يوميا ما بين ٨٠٠٠٠٠ الى مليون نسخة، ولها مكانتها بين أكثر من ٢٠ صحيفة فى العالم من ناحية التوزيع، وقد صدر العدد الأول منها فى مايو سنة ١٩٤٨ وشعارها تركيا للأتراك، وهذه المؤسسة لها دار نشر معروفة وعدة مجلات أخرى دورية أسبوعية وشهرية وسنوية، مثل:- هفتة صوفو، وبيللريوبو (مجلة التاريخ) وهى شهرية، ومؤسس دار حريت للصحافة والنشر هو سداد سيماوى من يهود الدونمة، ولما مات أخذت أسرته تدير المؤسسة، وجريدة كون إيدن، وترجمتها صباح الخير، وهى صباحية تطبع ٥٧٠ ألف نسخة يوميا، وهى ثانى صحف تركيا بعد حريت توزيعا ويملكها الدونمة، وتتبعها مجلة «صنعت» أى الفن الأسبوعية، ودار نشر ملبيت بسلاسلها المشهورة، وجريدة جمهوريت الصباحية يمتلكها الدونمة ولها صبغة يسارية، ويديرها الدونمى فوزى تون، ويصدرها الآن رشاد أتابك من يهود الدونمة، وجريدة ترجمان ثالث الصحف التركية الصباحة إنتشارا، ويمتلكها عثمان كبار وهو من عائلة كبار الدونمية، وكان هذا الكاتب والصحفى البارز رئيسا لبلدية إزمير قبل إمتهانه الصحافة، ويوجد أيضا من يهود الدونمة أسماء لامعة تلعب فى جميع المجالات، ومنهم إسماعيل جم، وزير الخارجية حاليا وفى الوزارة السابقة أيضا، وهذا الرجل هو مؤسس جريدة بولتكا اليومية الصباحية، وكان من أبرز الكتاب الماركسيين، وكان يعمل من قبل فى جريدة مليت ثم مديرا لهيئة الإذاعة والتلفزيون التركية حتى سنة ١٩٧٥ حين طردته وزارة الإئتلاف الوطنى من منصبه، ثم أخذ يكتب المقالات المؤيدة لإسرائيل

والمعادية للعرب فى جميع الصحف حتى عين وزيرا للخارجية فى حكومة يلمظ ثم فى حكومة أجاويد الحالية، وهو من أعضاء حزب الشعب الجمهورى البارزين، وفى النهاية يتبين أن الإعلام التركى فى غالبيته واقع فى يد الدونمة سواء أكان صحفا أو مجلات أم إذاعة أو تلفزيون، وكان لهذا أثره فى الدعاية لإسرائيل وتبنى وجهات نظرها فى إيجاد رأى عام تركى مؤيد لها وإبعاد الأتراك من الإسلام والعرب، كذلك تقوم أجهزة الإعلام التركية بخدمة اليهودية العالمية، فمن مقالات سامى كوهين (مدير الشئون الخارجية فى جريدة مليت) إلى عرض الأفلام المؤيدة لإسرائيل فى التلفزيون التركى خاصة فى عهد إدارة إسماعيل جم، وتبنى المحطات التلفزيونية التركية بث الأفلام الإباحية لإفساد الشبيبة التركية ويعمل يهود الدونمة ضد تركيا والعرب من داخل منظمات عديدة منها جمعية الإتحاد اليهودى العالمى والمنظمة الصهيونية العالمية ومنظمة رأس المال العالمى.

وفى النهاية يمكن للقارىء أن يتبين السبب فى تباعد تركيا عن العرب والمسلمين، وميل الطبقة العسكرية بها إلى تأسيس الأحلاف العسكرية والتعاون العسكرى مع إسرائيل، وإعتماد تركيا على اللوبى اليهودى الأمريكى واللوبى اليهودى الأوروبى من إدخال تركيا إلى منظمة دول التعاون الأوروبى بالرغم أنها لم تقبل حتى الآن فى هذه المنظمة، ويبدو أن اليهود يلعبون مع تركيا لعبة خبيثة كعادتهم، فهم يقنعونهم بأنهم سيكونون وراءهم فى الضغط على الأوروبيين من أجل إدخالهم دول الإتحاد الأوروبى، ويقومون ببعض التحركات والنشاط الظاهرى فى هذا المضمار، ولكنهم فى نفس الوقت يعرقلون وصول تركيا إلى الإتحاد بطرق خفية حتى تظل هذه دائما فى حاجة إليهم، ومما يؤيد هذا الرأى أن البرلمان الفرنسى أصدر قرارا يحمل فيه الأتراك مذابح الأرمن فى نهاية العهد العثمانى، ولم يتحرك اللوبى اليهودى الفرنسى القوى لمنع صدور هذا القرار وقد كان يستطيع ذلك.

بعض المعلومات الطريفة عن فرق الدونمة

جاء فى بعض المراجع التركية التى وقعت تحت يدى بعض المعلومات الطريفة عن فرق الدونمة التركية والأيدلوجية التى تسير عليها كل فرقة منها، وكما سبق أن ذكرنا فإن الدونمة تنقسم إلى ثلاث فرق هى:-

١ - **اليعاقية** :- وهذه الفرقة هى أقدم الفرق التركية، وقد سميت بهذا الإسم نظرا لأنهم يتبعون يعقوب فوريدو صهر ساباتاى وأخ زوجته الثانية، وقد إدعى فوريدو بعد موت ساباتاى أن روح ساباتاى قد حلت فيه، وأنها مستمرة من أجل خلاص العالم، وأتباع هذه الفرقة يحلقون شعر رءوسهم بالموس ولكنهم يرسلون لحاهم، واليعاقبة هم الفرقة الأكثر عددا، وقد إنفصل عن فوريدو هذا أحد أتباعه واسمه بروخيا (عثمان بابا) وكون فرقة أخرى منفصلة هى القراقاشية.

٢ - **القراقاشية** :- يعتقد أفراد فرقة القراقاشية أن بروخيا يمثل العقيدة الساباتية الحقيقية، ويضفى عليه أتباعه نوعا من التآليه، ولذلك فهم يتوجهون فى صلاتهم إليه وإلى ساباتاى، ويرسلون لحاهم ولا يحلقون رءوسهم، وبعد وفاة بروخيا جاء أحفاده وترأسوا الطائفة، ومنهم درويش أفندى الذى أدخل الإباحية الجنسية فى طقوس الطائفة مستندا فى ذلك إلى تأويلات لبعض نصوص كتب اليهود الدينية.

٣ - **القابانجية** :- وهى كلمة تركية معناها القدماء، ويسمون أيضا البيولار أى الأنصار الحقيقيين والفرسان، وقد إنفصل هؤلاء عن جماعة بروخيا فى العشرينيات من القرن الثامن عشر أى بعد وفاته مباشرة، وهم لا يعترفون بفوريدو ولا ببروخيا، ويتميزون بأنهم يحلقون لحاهم ويرسلون شعر رءوسهم، ونساؤهم يضفرون شعر رءوسهن ضفائر رفيعة جدا، وأعضاء هذه الفرقة هم المثقفون من الدونمة ولهم معابدهم الخاصة بهم، ويقع المعبد عادة وسط الحى ويطلق عليه (قهل) وهى كلمة عبرية معناها جماعة المصلين.

هذا وبالرغم من أن الدونمة يذهبون إلى المساجد ويؤدون الصلاة وبعض الشعائر الإسلامية الأخرى، إلا أن العبادة الحقيقية تكون فى معابدهم، ويطلقون على الشخص الذى يقودهم فى صلاتهم الخوجة أو الحاخام وذلك جريا على عادتهم فى الإزدواجية، وبالرغم من إختلاف فرق الدونمة الثلاث فيما بينهم إلا أنهم يدفنون موتاهم فى مقابر واحدة، ولهم مجلس أعلى يضم رؤساءهم ويحافظ على مصالحهم.

إزدواجيـــة اللغـــة

كان الدونمة يستعملون لغة عبرية محرفة فى الحديث فيما بينهم، إلا أنهم فى بداية القرن العشرين بدأوا يستعملون اللغة التركية فى أحاديثهم والعبرية فى صلاتهم وهم يكتبونها بحروف لاتينية. وكتب الصلوات عبارة عن كتيبات صغيرة ليسهل إخفائها عن غيرهم، وفى سنة ١٩٣٥ حصل بعض الأتراك المهتمين بدراسة موضوع الدونمة على كتيب من كتيبات صلاتهم، وإتضح من دراستها أن أغلب صلواتهم مأخوذة من الكتب الدينية اليهودية كالسدور والمحزور مع بعض التغييرات كوضع إسم ساباتاى زفى فى كل مناسبة ممكنة ومن صلواتهم التى يرددونها ما يلى:-

أؤمن إيمانا حقا بإله الحق رب إسرائيل

وأؤمن إيمانا حقا بأن ساباتاى زفى هو الملك والمخلص الحق وأومن إيمانا حقا بأن ساباتاى زفى جل جلاله هو المخلص الذى سيجمع إسرائيل المتفرقين فى أركان الأرض الأربعة.

ومن المزمور الثانى يقرأون:- لقد غاب عنى أقرب الناس إلى، ساباتاى زفى الذى إختاره الإله، سأبقى عبده المخلص وسأبقى أطلبه وأمجده إلى الساعة الأخيرة من حياتى، فلعله يغفر ذنوبى.

إليه أرفع عينى بالدعاء والأمل

إمدحوه بأصوات عالية من أجل خلاصكم.

تبـــادل الزوجـــات:-

ذكر عن الدونمة أنهم يتخذون تبادل الزوجات والإباحية الجنسية طقسا من طقوسهم، ومن الإنصاف أن يقال إن هذا الطقس لا يطبقه كل أتباع الدونمة كما هو شائع، وإنما يطبقه بعض فروعهم، وهذا الكلام ليس تهمة ألصقت بهم، وإنما هى حقيقة قامت عليها أدلة، فقد ذكر أحد الباحثين واسمه إبراهام جلنت كان قد إطلع على بعض طقوس الدونمة بأن هذا الطقس يطبق كالتالى:-

فى ليلة الثانى والعشرين من مارس الذى يعتبر يوم عيد الحمل، تلبس الزوجات أحسن ملابسهن وأجمل حليهن، ويبدأون بطعام العشاء، وبعد العشاء تطفأ الأنوار، وتبدأ عملية تبادل الزوجات ويعتبر الأولاد الذين يولدون نتيجة لذلك أولادا مميزين ومباركين.

الدونمة بين اليهودية والإسلام:-

ظهر فى ثلاثينيات القرن الماضى كتاب عن ساباتاى زفى والدونمة عن الكاتب التركى المعروف إبراهيم قوقزا، يقول فى هذا الكتاب أن من يدرس حياه الدونمة من خلال عقيدتهم وصلواتهم وإمتناعهم من الزواج من غيرهم، يرى أنهم فرقة خاصة ليست من الإسلام فى شىء، يضاف إلى ذلك أن الدونمة لم يذكروا أبدا أى شىء عن الإسلام فى أدبياتهم، وكذلك لم يلجأوا فى أى وقت من الأوقات إلى المحاكم الإسلامية أو إلى علماء المسلمين فى حل خلافاتهم. أما بالنسبة لعلاقتهم باليهودية، فإن مؤرخى حياة مؤسس فرقتهم يذكرون أنهم لم يتخل عن علاقته باليهود واليهودية، كذلك لم يتخل الدونمة عن اللغة العبرية، وكان أءمتهم حتى عهد قريب يدرسون التلمود، وقد عثر على وثائق مؤرخة سنة ١٩١٠ تتضمن أجوبة كان قد أجاب عليها حاخامات اليهود عن أسئلة دينية وجهها إليهم الدونمة.

يضاف إلى ذلك أن مجموعة كبيرة من الدونمة قدموا طلبا إلى رجال الدين اليهود فى سالونيكا طالبين قبولهم فى الرجوع الى اليهودية، ولكن هؤلاء رفضوا طلبهم لأنهم إعتبروهم أبناء غير شرعيين بسبب ما هو معروف عن موضوع تبادل الزوجات، لذلك يمكننا أن نقرر أن الدونمة طائفة خاصة لها عاداتها وتقاليدها وأماكن عبادتها الخاص.